المجلد الحادي عشر – العدد السادس والأربعون
مجلة علمية فصلية محكمة
جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
السنة الثانية عشرة إصدار ربيع الثاني

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1235) سنة 2009م

ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722

rawpixel

المحتويات

ت	البحث	الباحث	بحث في	الصفحة
١	الحقيقة القرآنية في تكاليف الأعمال وجزائها وتسهيلها على النفوس	الأستاذ المساعد الدكتور محمود عقيل معروف	تفسير	١ـ٥٦
٢	مرويات قيس بن أبي حازم البجلي عن العشرة المبشرة بالجنة عدا الخلفاء الراشدين جمعاً وتخريجاً	الأستاذ المساعد الدكتور ثامر عبد الله داود	حديث	٥٧ـ٩٦
٣	مرويات شعبة بن الحجاج التي أعلها النسائي بالمخالفة في كتابه عمل اليوم والليلة دراسة نقدية	السيد خالد إحسان سعيد الأستاذ المساعد الدكتور عبد الستار إبراهيم صالح	حديث	٩٧ـ١٤٤
٤	اختصار الحديث عند الإمام الترمذي في كتابه الشمائل	المدرس الدكتور علي إبراهيم نعمي	حديث	١٤٥ـ١٧٢
٥	مناهج العلماء في طريقة تصنيف كتب العلل	المدرس الدكتور علاء كامل عبد الرزاق	حديث	١٧٣ـ٢٢٦
٦	استدلال الأصوليين بحديث: (وقعت على امرأتي وأنا صائم...) جمعا ودراسة	الأستاذ المشارك الدكتور سلطان بن حمود العمري	أصول فقه	٢٢٧ـ٢٦٠
٧	الفروق الأصولية التي نص عليها الإمام القرافي في كتابه الذخيرة جمعا وتوثيقا	المدرس الدكتور محمد حامد عطيوي	أصول فقه	٢٦١ـ٢٨٢
٨	المسائل التي اختلف فيها القول عند الإمام الرازي بين كتابي المحصول والمعالم جمعاً وتوثيقا	المدرس الدكتور بلال حسين علي	أصول فقه	٢٨٣ـ٣١٤
٩	مقاصد التوحيد وعلاقتها بالحكم الشرعي الأصولي أركان الحكم أنموذجا	الباحث علي محمد الصغير أحمد المدرس الدكتور أمين أحمد عبدالله قاسم النهاري المدرس الدكتور رشدي بن رملي	أصول فقه	٣١٥ـ٣٥٦

ت	البحث	الباحث	بحث في	الصفحة
١٠	الرقابة على أعمال الإدارة وأنواعها في الإسلام مع التطبيق في النظام السعودي	الأستاذ الدكتور ناصر بن محمد بن مشـري الغامدي	فقه	٣٥٧ـ٤٠٨
١١	السنة في القلنسوة للشيخ محمد بن حمزة الآيدني الكوز لحصاري المتوفى سنة: (١١٢١هـ) دراسة وتحقيق	الأستاذ المساعد الدكتور عبدالله داود خلف	فقه	٤٠٩ـ٤٤٤
١٢	قاعدة السلطان ولي من لا ولي له دراسة فقهية تأصيلية تطبيقية	الأستاذ المشارك الدكتور عبد المجيد بن محمد السبيل	فقه	٤٤٥ـ٤٨٢
١٣	موجبات الاحتياط في تكفير المسلم	الأستاذ المشارك الدكتور سلطان بن عبد الرحمن العميري	عقيدة	٤٨٣ـ٥١٠
١٤	الموقف الاستشراقي المنصف من الأثر الإسلامي في رواد حركات الإصلاح النصرانية دراسة تحليلية	الأستاذ الدكتور محمد بن سعـد السرحاني	فكر	٥١١ـ٥٦٠
١٥	أوصاف الراسخين في العلم وأثرها في حفظ الأمن الفكري	الأستاذ الدكتور مشعل بن غنيم المطيري	فكر	٥٦١ـ٦٠٦

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
العدد ٤٦
ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722
السنة العاشرة المجلد العاشر

الموقف الاستشراقي المنصف من الأثر الإسلامي في رواد حركات الإصلاح النصرانية دراسة تحليلية

الأستاذ الدكتور
محمد بن سعيد السرحاني
sirhany@hotmail.com

جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

البحث رقم ١٤

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ملخص باللغة العربية

الأستاذ الدكتور محمـــد بن سعيـــد السرحـــاني

ظهرت طائفة من الكتابات الاستشراقية المعتدلة التي أظهرت أثر الإسلام في رواد حركات الإصلاح اليهودية والنصرانية ولا غرابة في عودة الحركات الإصلاحية إلى الإسلام وتأثر بعضهم في جوانب من مواقفهم بالإسلام فالدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه الله للناس كافة. وجعل كتابه القرآن مهيمناً على ما سبقه، وكان من لوازم هيمنة كتاب الله تعالى أن جاء حاكماً ورقيباً على ما قبله من الكتب، ومبيناً ما حدث فيها من تحريف وتزوير وتبديل، فكان لهذا البيان والنقد القرآني أثره في ظهور الحركات الإصلاحية النقدية للكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى، وروادها. وقد ظهر الأثر الإسلامي جلياً في الأصول الإصلاحية التي نادى بها عدد من رواد الإصلاح في النصرانية، كان من أبرزهم "زفنجلي" و"مارتن لوثر" و"كالفن" رواد الحركة البروتستانتية والذين عارضوا عدداً من العقائد النصرانية كعقيدة الخطيئة وصكوك الغفران، وحاربوا الرهبنة والأسرار الكنسية متأثرين بالإسلام. وجاء تفصيل ذلك في ثنايا البحث والذي اشتمل على أربعة مطالب على النحو الآتي: المطلب الأول: ميادين الاتصال الثقافي بين المسلمين وبين اليهود والنصارى. المطلب الثاني: مظاهر الأثر الإسلامي في رواد حركات الإصلاح النصرانية. المطلب الثالث: الأثر الإسلامي في ظهور الاحتجاج على التشريعات والأسرار الكنسية. المطلب الرابع: الأثر الإسلامي في منهج النقد الإصلاحي للكتب (المقدسة).

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الاستشراق، الرواد.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

THE ORIENTALISTS POSITION ON THE ISLAMIC IMPACT ON THE CHRISTIAN REFORM MOVEMENTS AN ANALYTICAL STUDY

Prof. Dr. Muhammad Bin Sa'eed Al-Sarhani

Summary

A range of moderate Orientalist writings appeared that showed the impact of Islam on the pioneers of the Jewish and Christian reform movements, and it is not surprising that the reform movements returned to Islam, and some aspects of their legislations were affected by Islam, as the Islamic religion is the religion that God desires for all people. One of the requirements for the domination of the Book of God Almighty was that he came to rule and watch the books before it, and to indicate what happened in them in terms of distortion, forgery and alteration. The Islamic influence was evident in the reformist principles advocated by a number of the pioneers of reform in Christianity, the most prominent of whom were "Zwongli", "Martin Luther" and "Calvin", the pioneers of the Protestant movement and those who opposed a number of Christian doctrines such as the doctrine of sin and indulgences, and fought monasticism and sacraments. The church is influenced by Islam. This came in detail in the course of the research, which included four demands, as follows: The first requirement: the fields of cultural contact between Muslims and between Jews and Christians. The second requirement: manifestations of the Islamic influence on the pioneers of the Christian reform movements. The third requirement: the Islamic impact on the emergence of protest against legislation and church secrets. Fourth requirement: The Islamic Impact on the Curriculum Reformation for (Holy) Books

Key words: Islam, Orientalism, Pioneers.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تواردت أقوال العديد من المستشرقين على اتهام الإسلام عقيدة وشريعة بتأثره باليهودية والنصرانية، وقد تصدى لتفنيد تلك الشبهات طائفة من الباحثين المسلمين، وعلى خلاف هذا الاتجاه الاستشراقي ظهرت طائفة أخرى من الكتابات الاستشراقية المعتدلة التي أظهرت أثر الإسلام على حركات الإصلاح في اليهودية والنصرانية بتصحيح مسار طائفة من التشريعات في الديانتين، ولا غرابة في عودة الحركات الإصلاحية إلى الإسلام وتأثر بعضهم في جوانب من مواقفهم بالإسلام فالدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه الله للناس كافة ووعد جل وعز ببلوغه كل بيت مدر ووبر، وهو الدين الذي وعد الله بحفظه من الضياع والتحريف، والقرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي جاء مصدقاً ومهيمناً وحاكماً على ما قبله من الكتب، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨].

وكان من لوازم هيمنة كتاب الله تعالى أن جاء حاكماً ورقيباً على ما قبله من الكتب، ومبيناً ما حدث فيها من تحريف وتزوير وتبديل، فكان لهذا البيان والنقد القرآني أثره في ظهور الحركات الإصلاحية النقدية للكتب المقدسة لدى النصارى.

وقد ظهر الأثر الإسلامي جلياً في الأصول الإصلاحية التي نادى بها عدد من رواد الإصلاح في النصرانية لدى عدد من رواد الإصلاح، كان من أبرزهم "زفنجلي" و"مارتن لوثر" و"كالفن" رواد الحركة البروتستانتية والذين عارضوا عدداً من العقائد النصرانية كعقيدة الخطيئة وصكوك الغفران، وحاربوا الرهبنة والأسرار الكنسية متأثرين بالإسلام، وإن لم تلامس دعواتهم النقدية أصل العقيدة الكنسية إلا أن الأثر الإسلامي

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ظهر جلياً في جوانب من أصول إصلاحهم.

ومن جانب آخر تجلى الأثر الإسلامي في تجدد ظهور عدد من حركات الموحدين النصرانية المعاصرة التي أنكرت عقيدة التثليث، ونادت بإصلاحات عقدية وتشريعية عدة.

ولم يقتصر الأثر الإسلامي في فكر المصلحين والحركات الإصلاحية اليهودية والنصرانية فحسب، بل تعدى ذلك إلى عدد من القوانين الأوربية المعاصرة وخصوصاً فيما يسمى بقوانين الأحوال الشخصية.

تساؤلات الدراسة:

ما أثر الاتصال الثقافي بين المسلمين والنصارى في حركات الإصلاح النصرانية؟ ما أبرز المواقف الاستشراقية حول التأثيرات العربية في الثقافة الأوربية؟ من أبرز رواد الإصلاح في تاريخ النصرانية المتأثرين بالدين الإسلامي؟ ما ميادين التأثير الإسلامي في حركات الإصلاح النصرانية؟ ما أبرز التشريعات والأسرار الكنسية النصرانية التي تم الاحتجاج عليها؟ ما أوجه الأثر الإسلامي في منهج النقد الإصلاحي للكتب المقدسة؟

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي لجمع مظاهر التأثيرات الإسلامية في حركات الإصلاح اليهودية والمنهج التحليلي لتحليلها.

الدراسات السابقة:

وقفت على عدد من الدراسات السابقة التي تناولت جانب أو أكثر من هذه الدراسة.

- عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي.
- زيغرد هونكة، اثر العقيدة والمعرفة الإسلامية في الحضارة الغربية' هذه

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الدراسة تكملة لدراسة أخرى للمستشرقة عنوانها : شمس العرب تسطع على الغرب.

– مونتقمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية .

– جورج يعقوب ، اثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى.

يجمع هذه الدراسات السابقة التركيز على الجوانب العلمية التجريبية للحضارة العربية وأثرها في الفكر الأوربي.

– أمين الخولي، صلة الإسلام بإصلاح الكنيسة.

وهذه دراسة مباشرة ومشابهة لدراستي في كثير من جوانبها غير إن دراستي محورها شهادات الغربيين من المستشرقين وغيرهم من علماء الدين الغربيين.

محمد أبو حطب خالد، مارتن لوثر والإسلام. عرض فيها المؤلف لآراء عدد من المفكرين الغربيين والمسلمين حول موقف لوثر من الإسلام ومدى تأثره به من عدمه.

وقد أفدت من هذه الدراسات في جوانب من بحثي، إلا أن بحثي يختلف عنها بالتركيز على أقوال المستشرقين في موقفهم من أثر الإسلام في رواد حركة الإصلاح النصرانية.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المطلب الأول:

ميادين الاتصال الثقافي بين المسلمين وبين النصارى

بدأ اتصال المسلمين باليهود والنصارى منذ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة والتي كان يقطنها عدد من القبائل اليهودية أشهرها بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، قبل إجلائهم بعد أن نقضوا العهود والمواثيق التي عقدها معهم نبينا محمد ﷺ، وكانت أولى الطوائف النصرانية التقاءً بالمسلمين نصارى نجران، ثم امتدت رقعة الإسلام لتشمل بلاداً كانت تحت الحكم النصراني في الشام والعراق، وزاد اتصال المسلمين باليهود والنصارى مع فتح المسلمين للأندلس وصقلية وامتداد الفتح العثماني إلى مشارف فيينا، وكان من صور الالتقاء الإسلامي النصراني تلك الحملات الصليبية على بلاد المسلمين والتي تم من خلالها التعرف على ثقافة المسلمين وحضارتهم والتأثر بها.

ولعلنا نستجلي مواقف طائفة من المستشرقين، مع الاستئناس بشهادات عدد من العلماء المسلمين، حول أثر ميادين الاتصال بين المسلمين والغرب في تهيئة المناخات المناسبة لنقل التأثيرات الإسلامية إلى رواد الحركات الإصلاحية في اليهودية والنصرانية.

لقد كان للاتصال الثقافي بين المسلمين واليهود والنصارى روافد عدة، لعل أبرز تلك الروافد هو: فتح المسلمين للأندلس بداية القرن الثامن الميلادي، وفتحهم صقلية وجنوبي إيطاليا فيما بعد، ويشير المستشرق "أماري"[(١)] الإيطالي إلى أثر الحضارة العربية الإسلامية في صقلية إذ يذكر: بأن صقلية مدينة للعرب بحضارتها، كما أن

(١) ميكيلي أماري مستشرقاً ومؤرخاً إيطالياً. ولد في باليرمو وكرس جزءاً كبيراً من حياته لتاريخ جزيرة صقلية تركز الأعمال التاريخية لأماري على تاريخ جزيرة صقلية في القرون الوسطى بما في ذلك الأعمال الواسعة لفترة حكم المسلمين. منحته جهوده الشهرة بكونه أحد أشهر المترجمين الأوروبيين في القرن ١٩ للكتابات العربية من القرون الوسطى. (تاريخ مسلمي صقلية) (١٨٥٤) يعد من أعظم أعماله. ترجم إلى العديد من اللغات بما فيها اللغة العربية من قبل مجموعة من الباحثين المصريين عام ٢٠٠٤..

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

إيطاليا مدينة لصقلية باقتباس معالم الحضارة العربية[١].

ولاشك بأن أبرز المعالم الثقافية الإسلامية التي يشير إليها المستشرقون هي محاسن الإسلام، والموقف الإسلامي الناقد للانحرافات الكنسية.

ويتحدث المستشرق "فيليب حتي"[٢] عن أثر صقلية في نقل الثقافة الإسلامية إلى أوروبا فيقول: «ولما كان الملوك النورمنديون وخلفاؤهم على عرش صقلية يحكمون أيضاً إيطاليا الجنوبية فقد تسنى لمملكتهم أن تكون جسراً تعبر عليه العناصر الثقافية الإسلامية إلى شبه الجزيرة الإيطالية وأوروبا الوسطى»[٣].

وتقول المستشرقة الألمانية زيغرد هونكة[٤]: إن حضارة الغرب قد ولدت في صقلية[٥].

---

(١) ينظر: فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، زكريا هاشم، ص٢٥٨.

(٢) "فيليب حتي" .Hitti, Ph (١٨٨٦-١٩٧٨م)، مستشرق لبناني الأصل، أمريكي الجنسية، وُلد في لبنان، وتخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، وحصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا، وعمل أستاذاً في عدد من الجامعات الأمريكية واللبنانية، وأسهم في تحرير دائرة المعارف (الإسلامية)، والبريطانية، والأمريكية، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية، له مجموعة من المؤلفات؛ منها: أصول الدولة الإسلامية، والسوريون في الولايات المتحدة، وأمريكا في نظرٍ شرقي، وتاريخ العرب، والشرق الأوسط والتاريخ، ومجموعة من الأبحاث نشرت في عدد من الدوريات الغربية. ينظر: العقيقي، ٣/١٤٨-١٥١.

(٣) تاريخ العرب، فيليب حتي،٢/٧٢٦.

(٤) زيغرد هونكة (١٩١٣-١٩٩٩) مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤١ اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة كما هو واضح من أشهر تراجم كتاباتها انتشارا في العالم العربي وهما شمس العرب تسطع على الغرب وكتاب الله ليس كذلك. تعلمت اللغة العربية وأتقنتها وأخذت في قراءة الكتب العربية، والتاريخ العربي وبالأخص الأندلسي. نالت العديد من الجوائز الأكاديمية والتقديرية. قام بعض الرؤساء والأمراء العرب بدعوتها وتكريمها. https://ar.wikipedia.org. .

(٥) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغرد هونكة، ص٤٥٩.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ويصف المستشرق الإسباني "ميجيل آسين[١] مدى تمثل مدينة «بالمر» الإيطالية للثقافة الإسلامية ومدى تأثر فردريك الثاني بالثقافة الإسلامية قائلاً: «أما الوقت الذي أصبحت فيه بالمر برمتها أشبه ما تكون ببلاط إسلامي، فالنصف الأول من القرن الثالث في خلال حكم الإمبراطور فردريك الثاني، ملك صقلية وإمبراطور ألمانيا الذي حكم مدة طويلة، فعل الإمبراطور الفيلسوف حر الفكر الذي كان يتكلم عدة لغات، كما فعل سابقوه في الحرب والسلم، وأحاط نفسه بالمسلمين، فقد كانوا أساتذته وزملاءه في العلم، ورجال حاشيته، وضباطه ووزراءه»[٢].

وقد دام ذلك الاتصال والتعايش قرابة الثمانية قرون، كانت المدارس والجامعات الإسلامية في طليطلة وقرطبة وصقلية قِبْلَة المتعلمين في البلاد الغربية في الوقت الذي كانت تعيش أوروبا في فترة ظلام حالك حاربت فيه الكنيسة الاكتشافات العلمية ونصبت محاكم التفتيش لتعذيب العلماء والمفكرين.

وتقول زيغرد هونكة : فكل موجة علم أو معرفة قدمت لأوربه في ذلك العصر كان مصدرها البلدان الإسلامية[٣].

---

(١) Miguel Asín Palacios مستشرق وقس كاثوليكي إسباني ولد في سرقسطة نال رسالته عن العقيدة والأخلاق والتصوف عند الغزالي، كان عضواً في عدد من المجامع العلمية، من مؤلفاته كتاب "علم الأخرويات الإسلامي في الكوميديا الإلهية" (١٩١٩، الذي ألقى فيه الضوء على المصادر الإسلامية للأفكار كتب الكثير من المؤلفات عن الإسلام في العصور الوسطى، وعني بمحيي الدين بن عربي عناية شديدة، فنشر عنه سلسلة دراسات منوعة، كما عني بدراسة أبي حامد الغزالي، وله مقالات عن التأثيرات الإسلامية على المسيحية والتصوف المسيحي في إسبانيا. ينظر: المستشرقون، العقيقي، ١٦٩/١.

(٢) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ميجيل آسين،، ص٢٣١.

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغرد هونكة، ص٥٤١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ويذكر المستشرق الإسباني "ميجيل آسين" دور طليطلة في نقل الثقافة العربية والإسلامية قائلاً: «وأصبحت طليطلة خلال القرن الثاني عشر مركزاً هاماً لنشر العلوم والآداب العربية في أوروبا المسيحية، فقد بدأ رئيس الأساقفة ريموند في النصف الأول من هذا القرن بعد قليل من استرداد المدينة من المسلمين في العمل على ترجمة أشهر المؤلفات في العلوم والمعارف العربية»(١).

ويؤكد اهتمام بعض حكام الأندلس بالثقافة الإسلامية قائلاً: "ولقد أشرف الفونسو الحكيم... الذي تلقى الثقافة الإسلامية العربية في البيئة التي نشأ وعاش فيها... عندما تولى العرش على أعمال الترجمة وجمع في بلاطه معاونين من العلماء والحكماء الذين ينتمون للأديان الثلاثة"(٢).

ويأتي الاتصال الآخر بحقبة الحروب الصليبية التي استمرت قرابة القرنين من الزمن، ومع ما كان فيها من فظائع وقتل إلا أنها كانت فترة من فترات الالتقاء والتي عاش فيها أولئك الغزاة في البلاد الإسلامية، وعايشوا وشاهدوا فيها ذلك التقدم العلمي والحضاري؛ مما أدَّى إلى تعرفهم على أخلاق المسلمين واطلاعهم على محاسن الإسلام.

ويذكر المستشرق "فيليب حتي" مدى تأثر النصارى بالثقافة العربية والإسلامية إبان الحروب الصليبية فيقول: «ووصل تعلقهم بالعادات والتقاليد المحلية لدرجة أن أخذوا أحياناً يصلُّون في المزارات التي يقدسها المسلمون واليهود»(٣).

وتؤكد "زيغرد هونكه " فضل الإسلام على إصلاح الكنيسة فتقول: "ولقد كان ظهور الاسلام وتوسعه عاملاً أنقذ الكنيسة من الانحدار وارغمها على إعداد نفسها لمواجهة القوى المعادية دينياً وفكريًا وماديًا"(٤).

---

(١) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ميجيل آسين، ص٢٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣٤.

(٣) تاريخ العرب، فيليب حتي، ص٣٧٣.

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغرد هونكة، ص٥٤١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وحول مدى تأثير الثقافة الإسلامية في إسبانيا فيقول ليفي بروفنسال: "كان الإسبان المسلمون يبنون حضارة رائعة واقتصادا مزدهراً، وكل يوم يدهشنا الأساتذة من المستشرقين الإسبان ممن وقفو انفسهم على الدراسات العربية"(١).

إن الغرب بقي في تأخره ثقافيًا واقتصاديًا طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يواجهه ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيًا وعلميًا وتجاريًا واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قرونًا ليصبح أكثر غنى وجمالًا وأوفر صحة وسعادة(٢).

ويُعَدُّ اتصال الغرب بالحضارة الإسلامية اتصالاً فعلياً ومؤثراً بظهور طلائع المستشرقين معظمهم من الرهبان، ومن أوائلهم "جيبرت"(٣). الراهب الفرنسي، فقد قصد الأندلس وأخذ عن علمائها، وتلَقَّى العلوم الإسلامية بعد أن أتقن اللغة العربية، وكان من أنبه خريجي جامعة قرطبة من الوافدين حتى اعتبره المؤرخون من أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، وبفضل هذا النبوغ تدرج في السلك الكهنوتي حتى أصبح حبراً (أعظم) وتَسمَّى باسم "سلفستر الثاني" عام ٩٩٩م، فأمر على الفور بإنشاء مدرستين عربيتين: الأولى في روما مقر خلافته، والثانية في "ريمس" بوطنه فرنسا ثم أضاف إليها مدرسة "شارتر"(٤).

ويصف "أندرو ميلر"(٥). تأثر "سلفستر الثاني" بالثقافة الإسلامية قائلاً: «كان

---

(١) الحضارة العربية في اسبانيا، ليفي بروفنسال، ص١٥٧.

(٢) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغرد هونكة، ص٥٤١.

(٣) الذي درس في الأندلس وأمر بإنشاء المدارس وترجمة الكتب العربية كان راهباً وترقى في درجات الرهبنة حتى تولى سدنة البابوية عام ٩٩٩م علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير، ص٣١.

(٤) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج،٤٢/١.

(٥) أندرو ميلر (١٨٧٠-١٩٦٠) سياسي ومحامي وقاضي من الولايات المتحدة الأمريكية، عضو في الحزب الجمهوري https://ar.wikipedia.org .

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

البابا سلفستر الثاني الذي جلس على كرسي بطرس الرسول في فجر القرن الحادي عشر هو حلقة الوصل بين حكمة العرب وجهل الرومان وتسليمهم الأعمى، فقد تعلم في المدارس الإسلامية في مدينة قرطبة، حيث استقى علوماً نافعة ابتدأ أن يظهرها في روما ويعلمها للناس، ولكن بسبب روح الخرافة التي سادت ذلك الوقت نسب الناس أعماله ومعارفه إلى فنون السحر لأن الناس اعتقدوا أن مثل هذه القدرات لا يمكن إلا أن تكون نتيجة التحالف مع الشيطان»[١].

ويشير "جوزيف بورلو" إلى أن تأثير العرب على أوروبا بدأ بالاتصال الثقافي مع الثقافة الإسلامية إذ يقول: «حدثت الاتصالات الواسعة بين الثقافة الإسلامية وأوروبا عن طريق الأندلس أولاً ثم صقلية ثانياً. إذ بدأت تلك الثقافة مع حلول القرن العاشر الميلادي، بالتغلغل إلى مقاطعات "كاتلون" التي أخذ يؤمها رجال العلم والأدب لدراسة الكتب الإسلامية، وها هو نظام كهنة "كلوني" يحاول المستحيل للتعرف على الفكر الإسلامي، ويعد "جيربير" (المولود عام ٩٣٨) واحداً من الذين تعلقوا بدراسة العلوم العربية، وهو نفسه أصبح بابا عام ٩٩٩ تحت اسم "سيلفستر الثاني"[٢].

ويؤكد برنارد لويس[٣] على تزامن ظهور حركة الإصلاح النصرانية مع التقدم

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ميلر، ص٢٣٦.

(٢) الحضارة الإسلامية، جوزيف بولو، ص٢١١.

(٣) "برنارد لويس" مستشرق يهودي، بريطاني المنشأ أمريكي الجنسية، درس في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، ومع نشوب الحرب العالمية الثانية انضم إلى صفوف القوات البريطانية التي أعارت خدماته بدورها إلى وزارة الخارجية، ثم عاد رئيساً لقسم تاريخ الشرق الأدنى (١٩٥٧-١٩٧٤م) في جامعة لندن. عمل أستاذاً زائراً في عدد من الجامعات الأمريكية، وفي ١٩٨٦م عُيِّن رئيساً لمعهد الدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى . اهتم بالتاريخ الإسلامي والفرق، وهو من كُتّاب الدائرة. من مؤلفاته: العرب في التاريخ، الإسلام في التاريخ، الفكر السياسي الإسلامي والحركات الإسلامية المعاصرة، أصول الإسماعيلية، الحشاشون. ينظر: الاستشراق والدراسات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن صلاح مطبقاني، ص١٣.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

العلمي والحضاري للمسلمين في الأندلس وأثرهم في حركات الإصلاح النصراني فيقول: "عندما كان الإسلام يشهد أزهى عصور تقدمه وتفتحه الحضاري وانتشاره السياسي، كان لدى أوروبا القليل بل لا شيء لتقدمه بالنسبة للمسلمين في العصور الوسطى، وكانت أوروبا ماتزال مظلمة ولم يكن عالم الإسلام المشرق يجد فيها إلا القليل ليخاف والأقل ليتعلم. فكانت نقطة البدء في تقدم أوروبا حركة الإصلاح الديني حيث ثار الناس على ظلم الكنيسة واضطهادها وثاروا على كثير من مفاهيمها المعقدة بعدما رأوا صفاء العقيدة الإسلامية ويسرها وسماحة الإسلام وسمو خلقه، ثم كانت بذور النهضة الأوروبية العلمية أخذاً عن علماء المسلمين الذين تعلم الغربيون على أيديهم في جزر البحر الأبيض وفي الأندلس ومن قبل ذلك احتكوا بهم إبان الحروب الصليبية"(١).

ومما سهل تعرف الغربيين على الثقافة الإسلامية نشاط ظاهرة ترجمة التشريع الإسلامي إلى اللغات اللاتينية والأوربية الأخرى، وكان من أبرز ما وجهت إليه حركة الترجمة اهتمامها ترجمة معاني القرآن الكريم.

وقد جاءت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية بإشراف الراهب "بطرس المبجل" (١٠٩٢-١١٥٦) رئيس "دير كلوني" الشهير بدوافع تنصيرية عدائية للإسلام، إلا أنها كانت منعطفاً مهماً في فهم الإسلام والتأثر به، وهذا ما يشير إليه المستشرق "ريتشارد سوذرن" إذ قال: «وسيظل دير كلوني معلماً تنويرياً في تاريخ العلاقة بين المسيحية والإسلام، للعمل الضخم والمتقدم الذي قام به رئيسه "بطرس المبجل" عندما رعى أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية، فهذه الترجمة التي قام بها العالم الإنجليزي "روبرت كتون" ومولها "بطرس المبجل" والتي (أنجزت في شهر تموز/ يوليو ١١٤٣م) شَكَّلت المعلم البارز والأساس في مجال الدراسات الإسلامية بأوربا الغربية الوسطية»(٢).

(١) أساليب الغزو الفكري، علي محمد جريشة، ص٥.

(٢) صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن،ص٨٠.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ويَعُدُّ المستشرق "رودي بارت"[١] هذه الترجمة البداية الفعلية للتعرف على الإسلام والمنعطف الأهم لظهور الدراسات الاستشراقية عن الإسلام بجانب إنشاء أول قاموس لاتيني عربي في القرن نفسه[٢].

وتُعَدُ ترجمة "وليم بادويل" (١٥٦١-١٦٣٣م)، لمعاني القرآن الكريم عام ١٦٠٤م، أول ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم، وهو الذي ينسب إليه وضع أسس تدريس العربية في إنجلترا، وقد عُين أستاذاً للغة العربية في جامعة أكسفورد وكامبردج[٣].

وظهرت في أوائل القرن الثامن عشر عام ١٧٣٤م أشهر ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم، وهي الترجمة التي قام بها المستشرق جورج سيل"[٤].

وبجانب الدور الذي أسهمت فيه حركة الترجمة في تأثر الغربيين بالإسلام ساهم إنشاء كراسي اللغة العربية في الجامعات الغربية في تعميق العلاقات الثقافية بين الشرق

---

(١) "رودي بارت" Part, Rudi مستشرق ألماني معاصر، متخصص في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وخصوصاً الدراسات القرآنية، دَرَس في جامعة "بنجن" اللغات السامية والتركية والفارسية من ١٩٢٠-١٩٢٤م، عمل مدرساً للغات السامية والعلوم الإسلامية في عدد من الجامعات الألمانية، من مؤلفاته: محمد والقرآن، وتاريخ الإسلام على ضوء الأدب العربي الشعبي، وموضوع المرأة في العالم العربي الإسلامي، وحدود البحوث القرآنية، والإسلام والثقافة اليونانية، وله ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية، ومن أشهر مؤلفاته: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. ينظر: ميشال حجا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م ص٢١٧-٢١٩.

(٢) ينظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، ص٩.

(٣) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشال جحا، ص٣٠.

(٤) "جورج سيل" Sale, G. (١٦٩٧-١٧٣٦م) مستشرق ومحام إنجليزي، درس العربية، واقتنى مجموعة من مخطوطاتها، وكان من ألدّ الناس عداوة للإسلام، ظهر ذلك من خلال التعليقات التي اشتملت عليها ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، والتي ضمنها طعوناً وتجريحاتٍ لتعاليم الإسلام، وكانت تلك الترجمة ومقالاتها الإضافية -التي حشاها بالإفك واللغو والتجريح- مصدراً من مصادر المستشرقين في دراسة الإسلام لفترة طويلة من الزمن. ينظر: المستشرقون، العقيقي،٤٧/٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

والغرب، مع أن الأصل في إنشاء تلك الكراسي لمواجهة الإسلام، فقد كان من توصيات مجمع فيينا سنة ١٣١١م إقامة كراسي للغة العربية في جامعات روما وباريس وسلمنكا وبولونيا(١).

وقد تأسست كراسي الدراسات العربية في جامعة كامبردج عام ١٦٣٢م، وبعد ذلك بأربع سنوات تأسس كرسي الدراسات العربية في جامعة أكسفورد عام ١٦٣٦م(٢).

وقد ازدادت كراسي الدراسات الاستشراقية في الجامعات البريطانية في القرن الثامن عشر(٣).

وتعتبر حملة نابليون على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) من مفاصل الصلات القوية بين الغرب والعالم الإسلامي؛ ومع أن هذه الحملة قامت لتحقيق مطامع وأهداف استعمارية إلا أنها كانت موطناً من مواطن الالتقاء الثقافي الذي مَكَّن البريطانيين من الاطلاع عن كثب على معالم الثقافة الإسلامية(٤).

وقد شكلت قرطبة وطليطلة مراكز مهمة للتلاقح الفكري حيث نشطت حركة الترجمة، وقام المترجمون بنقل الفكر العربي إلى اللاتينية، وكان ذلك منذ القرن العاشر الميلادي، ثم أخذ العلماء يَفِدون من أوربا إلى هذه المراكز العلمية لدراسة الفكر والعلم العربي ونقله والاستفادة منه(٥).

(١) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشال جحا، ص١٢٤.

(٢) نجيب العقيقي، المستشرقون، ٩/٢ – ١٠.

(٣) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشال جحا، ص٣٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٥.

(٥) ينظر: المرجع نفسه، ص١٢٣.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وينقل المستشرق "ليفي بروفنسال"[١] اعتراف أحد الكتاب الإسبان بمكانة الثقافة الإسلامية في إسبانيا فيقول: «لا يمكن لأحد اليوم أن يتحدث عن ظلمات العصور الوسطى، كما كان عليه الحال من قبل، ولكن علينا أن نتذكر أنه في مواجهة أوروبا التي ترقد في التعاسة والانحطاط والبؤس الفكري، كان الإسبان المسلمون يبنون حضارة رائعة، واقتصاداً مزدهراً. وكل يوم يدهشنا الأساتذة من المستشرقين الإسبان ممن وقفوا أنفسهم على الدراسات العربية بما يقعون عليه من شواهد جديدة، عن مدى تألف الثقافة الإسبانية الإسلامية وعمقها، وهم يدعون أنها لعبت دوراً حاسماً في تطور الفن والفلسفة والعلم والشعر وجميع ثقافة أوروبا المسيحية، وبرهنوا على أن الحضارة الإسلامية الإسبانية تركت طابعها في أعلى قمم الفكر المسيحي في القرن الثالث عشر مثل القديس "توماس الإكويني" وشاعر إيطاليا الأكبر "دانتي"[٢]».

ويعرض أمين الخولي أقوال عدد من المستشرقين حول أثر الحضارة والدين الإسلامي في الفكر الغربي فينقل عن روجيرو قوله: (إذا قيل إن خصائص الحضارة الإسلامية، والدين الإسلامي، قد تسربت خلسة تقريباً إلى العالم اللاتيني)[٣].

---

(١) ليفي بروفسال :مستشرق فرنسي، ولد بالجزائر ونال الليسانس من كلية الآداب فيها ١٩١٣هـ، وعُين سنة ١٩٢٠ مدرسًا في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط، فمديرًا له (سنة ١٩٢٦ – ٣٥)، وانتدب في خلال ذلك (سنة ١٩٢٨) لتدريسِ تاريخ العرب والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر، كما انتدب لتدريس تاريخ العرب وكتاباتهم بمعهد الدراسات الإسلامية في السوربون (بباريس)، وكان من أعضاء المجمعين: العلمي العربي بدمشق، واللغوي بالقاهرة، ومات بباريس. ونشر عدداً من الكتب المهتمة بتاريخ المغرب العربي والأندلس، ونشر جمهرة أنساب العرب. المستشرقون، العقيقي، ٢٩٣/١.

(٢) الحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال، ص١٥٧.

(٣) ينظر: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، ص ٦١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وينقل عن "الفريد جيوم"[١] قوله: (ثم إذا ما قيل أن الأدلة كافية في تبيان مجرى النظر الفلسفي والديني، أثناء انتقاله من الشرق إلى الغرب)[٢].

ولقد أعجب الأوربيون بثقافة العرب وحضارتهم، وأرسلت الكنيسة رهبانها وقساوستها لطلب العلم والمعرفة من الجامعات العربية المنتشرة في ربوع إسبانيا وخاصة جامعة قرطبة، والتي كانت قبلة طلاب العلم يفدون إليها من جميع الأصقاع، وقد ساعد على قيام هذه النهضة العلمية بالأندلس سياسة التسامح التي اتبعها المسلمون تجاه أهل الذمة من نصارى ويهود، فتعلم الإسبان والطلبة الوافدون من أوربا اللغة العربية، وهي اللغة العالمية المستخدمة في العلوم والآداب في ذلك الزمان.

وتشير المستشرقة الإسبانية «ثريا غارولو» أستاذة اللغة العربية بجامعة مدريد والتي أعدت أطروحة الدكتوراه عن الكلمات ذات الأصول العربية في منطقة أندلوثيا "الأندلس"، تشير إلى فضل اللغة العربية على اللغات الأوربية وخاصة الإسبانية في دراستها تلك إذ تذكر: «أن اللغة الإسبانية تعتبر أكثر اللغات الأوروبية تأثراً باللغة العربية، لأنه لا يمكن محو تأثير أكثر من ثمانية قرون عاشها الإسلام واللغة العربية في الأندلس، وأنه بعد سقوط غرناطة بقي الموريسكيون بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، ثم الصناعات والفنون ظلت في أيدي هؤلاء لسنوات طويلة.. ويعتبر القرن الثالث عشر هو العصر الذهبي للكلمات العربية في اللغة الإسبانية»[٣].

---

(١) "الفرد جيوم" (١٨٨٨-١٩٦٢م) Guillaume, A مستشرق إنجليزي، تخرج في جامعة "أكسفورد"، وعمل في فرنسا، ومصر خلال الحرب العالمية الأولى، وعُيّن محاضراً للغة العبرية في المعهد الملكي بلندن، وأستاذاً للغات الشرقية في جامعة "درهام"، وعمل أستاذاً زائراً في عدد من الجامعات الأوروبية والعربية، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العراقي؛ ومن أبرز مؤلفاته: تراث الإسلام، مدخل إلى علم الحديث، والتشريع الإسلامي، واليهود والعرب، والإسلام، وعدد من البحوث والمقالات في الدراسات الإسلامية لم تخل من الطعن والتجريح في أصل التشريع الإسلامي، ويبرز ذلك جلياً من خلال عنوان كتابه : أثر اليهودية في الإسلام. ينظر: المستشرقون، العقيقي،١١٨/٢.

(٢) ينظر: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، ص ٦١.

(٣) www.alandilus.com مقال: الحلقة الثامنة والأخيرة من تاريخ الأندلس.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ويشير الكاتب الإسباني "كريستوبال كويباس غرسيا" إلى: «أن ميل المسيحيين الإسبان للتدين يمتد جذوره الكبرى للإسلام، فميل المسيحي إلى الحج والزيارة والتبرك والصيام وغير ذلك من الممارسات الدينية والرغبات الروحية المكونة لعقيدة الإسبان تعززت بمعتقدات موازية لما هو مسلم»(١).

ويصف المستشرق الفرنسي "ريتشارد سوذرن" انتشار الحضارة الإسلامية وأثرها الكبير في الأندلس فيقول: «في هذه الحقبة من الزمان كانت الحضارة الإسلامية ذات اللسان العربي تنمو وتزدهر وتحقق إنجازات عبقرية في الأندلس في المجالات كلها»(٢).

ويشير أمين الخولي نقلاً عن "الفريد جيوم" إلى تأثير البيئة الأندلسية في التفكير الديني المسيحي واطلاع عدد من رواد الإصلاح الكنسي على النظريات الدينية الإسلامية، وإلى إنشاء الجامعات العلمية فيها على يد رجال من علماء المسلمين أنفسهم(٣).

ويذكر المستشرق "سديو"(٤) تميز العرب الحضاري على أوربا بقوله: «كان العرب وحدهم حاملين لواء الحضارة في القرون الوسطى، فدحروا بربرة أوربة التي زلزلتها غارات قبائل الشمال»(٥).

(١) www.kenanaline.com مقال: الألفاظ المشتركة في التواصل الحضاري

(٢) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، ص٥٦.

(٣) ينظر: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، ص ٧١.

(٤) مستشرق و مؤرخ فرنسي ولد في باريس عام ١٨٠٨م تعلم على يدي أبيه اللغات الشرقية والرياضيات والفلك فكان اهتمامه بعلوم الفلك والرياضيات وممن ذكر فضل العرب على الغرب في هذه العلوم، وكانت أبرز مؤلفاته في هذا الباب . موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي،٢٣٧-٢٣٨

(٥) تأريخ العرب العام، سديو، ص٣٣١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ينقل المستشرق "ليفي بروفنسال" عن المستشرق "دوزي"[١] عن إعجاب الشبان الأوربيين باللغة العربية والثقافة الإسلامية فيقول: «إن كل الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب خليقة بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن كتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم .. لقد أنسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد واحداً منهم بين الألف يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتاباً سليماً من الخطأ، فأما عن الكتابة في اللغة العربية فإنك واجد فيهم عدداً عظيماً يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً»[٢].

وهكذا نرى كيف كان التقدم العلمي والحضاري للمسلمين محط إعجاب الأوربيين في العصور الوسطى، وفي السياق نفسه ينقل المستشرق "ريتشارد سوذرن" عن أحد الغربيين مدى شغف الشبان الأوربيين بالإسلام فيقول: «وكل الشُبَّان الموهوبين يقرؤون ويدرسون بإعجاب الكتب العربية. أما الثقافة المسيحية فهم يحتقرونها ويقولون: إنها لا تستحق الاهتمام. لقد نسوا لغتهم، فمقابل المسيحي الواحد الذي يستطيع كتابة

(١) "رينهارت دوزي " Reinhart Dozy (١٨٢٠-١٨٨٣م)، مستشرق هولندي، اشتهر خصوصاً بأبحاثه في تاريخ العرب في إسبانيا وبمعجمه: تكملة المعاجم العربية؛ أولع منذ صغره بدراسة اللغات، وأتقن عدة لغات أوروبية في بدء دراسته، تنقل بين مكتبات الجامعات الأوروبية للبحث عن نوادر المخطوطات العربية، له العديد من الإسهامات العلمية؛ ومن أبرز مؤلفاته: كتاب تعليقات على بعض المخطوطات العربية، وشرح تاريخي على قصيدة ابن عبدون تأليف ابن بدرون، وأعد فهرساً للمخطوطات العربية في مكتبة "ليدن"، وابتداءً من عام ١٨٥١م وطوال عشر سنوات تفرغ لتأليف كتابه الأساسي وهو: (تاريخ المسلمين في إسبانيا)، ويُعد هذا الكتاب من أكبر الأعمال التاريخية التي عملها المستشرقون، ومن كتبه كذلك: اليهود في مكة؛ ولم تخل كتاباته من الطعن في الإسلام، والنيل من تاريخ المسلمين. ينظر: موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص١٧٢-١٧٧.

(٢) الحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال، ص١١١ – ١١٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

رسالة لصديقه باللاتينية نجد ألف مسيحي على الأقل يمكنهم أن يبتدعوا أشعاراً بالعربية أحسن من أشعار العرب أنفسهم»[١].

ويصف المستشرق "جوستاف لوبون"[٢] أثر حضارة المسلمين في الغرب قائلاً: «ولقد كان أثر حضارة المسلمين في الغرب قوياً في النواحي العلمية والأدبية والخلقية.. ففي القرن السابع الميلادي هَبَّ المسلمون من شبه جزيرة العرب ليكَوِّنوا إمبراطورية عظيمة مترامية الأطراف، فسارت الحضارة في ركابهم أينما حلوا أو صاحبتهم المدنية كيفما اتجهوا، فلم يقتصر أثرهم الحضاري على الشرق، وإنما كان تأثيرهم في الغرب لا يقل خطورة وأهمية»[٣].

ويواصل عدد من المستشرقين ذكر شهاداتهم حول أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، ويؤكد المستشرق الفريد جيوم إلى أثر الحضارة الإسلامية قائلا: (وسوف نرى عندما تخرج إلى النور الكنوز المودعة في دور الكتب الأوربية، أن تأثير العرب الخالد في حضارة العصور الوسطى، كان أجل شأنا وأكبر خطراً مما عرفناه حتى الآن)[٤].

ولم يكن تأثير الحضارة الإسلامية في الغرب مقتصراً على مجال دون الآخر بل شمل الحضارة المادية والفكرية، وفي ذلك يقول المستشرق "سديو" وصف أحد الكتاب الغربيين لأثر الحضارة العربية في عهد الخلافة العباسية بقوله: «كان العرب مستعدين

---

(١) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، ص٥٧-٥٨.

(٢) "غوستاف لوبون" (١٨٤١-١٩٣١م) مستشرق وعالم اجتماع فرنسي، ممن يوصف بشيء من الاعتدال في كتاباته عن الإسلام مع أن كتاباته لم تخل من الطابع العدائي للإسلام؛ من مؤلفاته: سرّ تطور الأمم، وروح الجماعات، والآراء والمعتقدات، وروح الثورات والثورة الفرنسية، وروح الاشتراكية، وحضارات الهند، والحضارة المصرية، وحضارة العرب في الأندلس، وحضارة العرب، وهو أشهر مؤلفاته. ينظر: غوستاف لوبون في الميزان، شوقي أبو خليل، ص١٢-١٣.

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون،ص٢٤٩.

(٤) ينظر: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، ص ٧٨.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

بما يقضي بالعجب، ليُمثلوا دور الوسيط ويؤثروا في الأمم القاطنة فيما بين نهر الفرات ونهر الوادي الكبير وفي القسم الجنوبي من إفريقية الوسطى، والعرب كانوا ذوي نشاط منقطع النظير»(١).

وحول التأثير الفكري الإسلامي في المفكرين الغربيين يشير "جوزيف شاخت" إلى أن الاتصالات بين المسلمين والنصارى لم تقتصر على التجارة وحسب، بل إن الثقافة الإسلامية كان لها تأثير كاف جذب إليها أحسن العقول بين نصارى تلك البلاد(٢).

ويقول المستشرق "جوستاف لوبون" عن أثر الحضارة العربية في الغرب: «كان تأثير العرب في الغرب عظيماً للغاية، فأوروبا مدينة للعرب بحضارتها، ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوربا عندما أدخل العرب الحضارة إليها»(٣).

ومازلنا في عرض بعض الشهادات الاستشراقية على فضل الإسلام وحضارته على الغرب، وسيادة الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس وصقلية مما أسهم في تأثير الثقافة الإسلامية على الغرب.

فيؤكد المستشرق الإيطالي: «ليبرتيني» في سياق بيانه لأثر العرب والإسلام في إيطاليا أنه لو دام الحكم العربي الإسلامي في جنوب إيطاليا لبضعة قرون أخرى لأزاحت الحضارة العربية الإسلامية الحضارة الراقية والمتطورة والتي جاء بها هذا الشعب العربي الإسلامي المنفتح الواعي الذكي حضارات الشعوب الإيطالية المتأخرة(٤).

---

(١) تأريخ العرب العام، سديو، ص٣٣٢.

(٢) ينظر: تراث الإسلام، جوزيف شاخت، ص ٢١.

(٣) حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، جلال مظهر، ص٥٠٤.

(٤) الإسلام والثقافة العربية في أوروبا، عبدالفتاح الغنيمي، ص٨٠.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ويختم المستشرق «سديو» حديثه عن أثر الإسلام والحضارة العربية في الثقافة الأوربية بهذه الشهادة التي قال فيها: «وهكذا تجلَّى تأثير العرب في جميع فروع الحضارة الحديثة، وظهرت بين القرنين التاسع والقرن الخامس عشر آداب تُعدُ من أعظم ما عُرِفَ، وتشهد الإنتاجات المتنوعة والاختراعات المهمة على ما كان يتصف به عرب ذلك الزمن من النشاط العجيب، وبما كان لهم من الأثر البالغ في أوربة النصرانية فجاء هذا مُسَوِّغاً للرأي القائل: إن العرب كانوا أساتذة لنا، وما أتى العرب به من المواد التي لا تُقدَّر بثمن عن تأريخ القرون الوسطى ومن كتب الرحلات ومعاجم تراجم الأحوال من ناحية، وما جاء به العرب من صناعة منقطعة النظير ومن مبان دالة على تفكير عظيم وتنفيذ جسيم ومن اكتشافات مهمة في الفنون من ناحية أخرى، كُلها أمورٌ يجب أن تَرفع في أعيننا شأن الأمة العربية التي ازدريناها زمناً طويلاً»(١).

وشهد القرن التاسع عشر ازدهاراً في الدراسات الاستشراقية والعلاقات الثقافية بين الشرق والغرب بإنشاء عدد من كراسي الدراسات في الجامعات الغربية، وظهور عدد من الجمعيات العلمية.

وشهد القرن العشرون اهتماماً متزايداً بدراسة الإسلام والعالم الإسلامي تمثَّل في تأسيس عدد من معاهد الدراسات الشرقية والإفريقية ومراكز دراسات الشرق الأوسط في عدد من الجامعات الأوربية والأمريكية(٢).

ومع ما ذكرناه وسنذكره في هذا البحث من أقوال المعتدلين من الغربيين عن أثر الإسلام في ظهور حركات الإصلاح في الغرب وفضل الإسلام على الحضارة الغربية إلا أن تلك المواقف لا تمثل إلا النزر اليسير من حقيقة الموقف الغربي من هذه المسألة، إذ يتعمد الكثير من الباحثين الأوربيين إخفاء هذه الحقيقة وعدم الاعتراف

(١) تأريخ العرب العام، سديو، ص٤٢٥.

(٢) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشال جحا، ص٤٥.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

بفضل الإسلام وتأثيره على الحضارة الغربية، وهذا ما يؤكده المستشرق الإنجليزي "مونتقمري وات"[١] يتحدث عن موقف المستشرقين من التأثير الإسلامي في الحضارة الغربية بقوله: «وقد أدرك الناس منذ زمن أن الكتّاب المسيحيين في العصر الوسيط خلقوا صورة للإسلام هي صورة شائهة من وجوه عديدة، غير أن جهود الباحثين خلال القرن الأخير قد مهدت السبيل من أجل تكوين صورة أكثر موضوعية له في عقول الغربيين، ومع ذلك فإننا معاشر الأوربيين نأبى في عناد أن نقر بفضل الإسلام الحضاري علينا، ونميل أحياناً إلى التهوين أحياناً تجاهلاً تاماً، والواجب علينا من أجل إرساء دعائم علاقات أفضل مع العرب والمسلمين أن نعترف اعترافاً كاملاً بهذا الفضل، أما إنكاره أو إخفاء معالمه فلا يدلّ إلا على كبرياء زائف»[٢].

ويؤكد المستشرق " الفريد جيوم" على مقدار ماخلفه العرب من كنوز حضارية في المكتبات الغربية فيقول " إن الشرق والغرب حققا بالقرن الثالث عشر اتصالاً ثقافيًا فياضًا متقاربًا أكثر من أي وقت مضى... وعندما ترى ضوء النهار جميع المواد النفيسة المختزنة في مكتبات أوروبا فسيتضح لنا أن التأثير العربي الباقي في الحضارة الوسيطة لهو أعظم بكثير مما عرف عنه حتى الآن"[٣].

---

(١) "مونتقمري وات" W.Montgomery Watt، مستشرق بريطاني معاصر، تركزت اهتماماته الأساسية في مجال السيرة النبوية، عمل عميداً لقسم الدراسات العربية في جامعة "أدنبرا"، يصفه بعض الباحثين بالاعتدال في كتاباته عن الإسلام، وهذا الوصف لا يصدق عليه إذا تتبعنا ما احتوته كتاباته من شبهات حول الإسلام، ويظهر ذلك جلياً في مؤلفاته التالية: الجبر والاختيار في الإسلام، محمد في مكة، محمد في المدينة، محمد نبياً ورجل دولة، عوامل انتشار الإسلام، الوحي الإسلامي في العالم الحديث، الفكرة التكوينية للفكر الإسلامي، وله العديد من الدراسات والبحوث في الدوريات الإسلامية والاستشراقية. ينظر: المستشرقون، العقيقي،١٣٢/٢، ص٩.

(٢) فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتقمري وات، ص٨.

(٣) تراث الإسلام، توماس آرنولد، ص٤١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وحول تأثيرات فلاسفة المسلمين في الفكر الغربي يقول "جوزيف شاخت": "وهكذا أخذت تتشكل في أذهان المفكرين الغربيين صورة أخرى للعالم الإسلامي بصفة مهد فلاسفة عظام وكانت تلك صورة مضادة تمامًا للصورة السابقة صورة الكيان السياسي الذي يسيطر عليها دين معاد ومغلوط وهي الصورة التي خلفتها الخرافات السخيفة والكريهة في أذهان الناس"(١).

وهذا ما يظهر في مواقف أبرز رواد حركة الإصلاح النصراني من محاولتهم إخفاء إعجابهم وتأثرهم بالفكر الإسلامي في موقفهم من الكنيسة وهذا ما نتعرف عليه في المطلب القادم.

ومن خلال استعراض أقوال طائفة من المستشرقين حول مواطن الالتقاء بين المسلمين والغربيين والمراحل التي مرت بها تلك العلاقة تبين إجمالاً مدى ما أسهمت به تلك الميادين من نقل الثقافة الإسلامية والعربية إلى الغرب وأسهم في اطلاع رواد الإصلاح النصراني على الشريعة الإسلامية وموقفها الناقد لانحراف الكنيسة في كثير من أصولها العقدية، ومدى تأثر عدد من رواد الإصلاح الغربيين بالثقافة الإسلامية.

(١) تراث الإسلام، توماس آرنولد، ص٤٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المطلب الثاني:

الأثر الإسلامي في رواد حركات الإصلاح النصرانية

كان لنتائج الاتصال والتعايش بين المسلمين والنصارى منذ ظهور الإسلام وانتشاره في مساحات جغرافية أكثر أهلها يدينون بالنصرانية، وما أتاحته المدارس والجامعات الإسلامية في الأندلس من سبل وفرص الالتقاء الثقافي من مواطن ومنافذ الاتصال التي أشرنا إليها في مقدمة البحث، كان لكل تلك الأسباب الأثر البارز في ظهور عدد ممن نادوا بإصلاح الكنيسة وإعادتها إلى مسيرة التوحيد الذي كانت عليه في الأصل، أو إحداث إصلاحات في بعض الشعائر والعبادات وإن لم تصل إلى إصلاح أصل عقيدة النصارى، مستنيرين في بعض دعواتهم بالنقد الإسلامي للانحرافات الكنسية. ويظهر من أوائل أولئك المصلحين "جون ويكليف" (١٣٢٤-١٣٨٤م)[١] الذي يقول عنه المستشرق "ريتشارد سوذرن": «ربما كان مثل "جون ويكليف" الأوضح والأوقع في مجال بيان وجوه الربح والخسارة التي جلبها القرن الرابع عشر معه فيما يتعلق بتطور الرؤية الأوربية للإسلام»[٢].

يُعَدّ "جون ويكليف" من أوائل مَنْ تَبنّى حركة الإصلاح، وقد ألف عدداً من المؤلفات المعارضة لنظام الرهبنة، ولانحراف الكنيسة، من أبرزها كتابه (آخر أزمنة الكنيسة)، ثم كتابه الشهير: عن (فقر المسيح) الذي عارض فيه حياة الرهبنة، وقد ساعده على إعلان أفكاره الإصلاحية تحرر الحكومة الإنجليزية من وصاية البابوية في

(١) جون ويكليف (١٣٢٨-١٣٨٤)، لاهوتي ومترجم ومصلح مسيحي إنجليزي. عمل مستشاراً لاهوتياً لملك إنجلترا، هاجم سلطة البابا المطلقة، ومبدأ الاستحالة الجوهرية. أبرز إسهاماته كان ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية الدارجة. ثارت الكنيسة عليه بسبب ذلك ومنعت نشر الكتاب لاحقاً. آمن بأن سلطة الكتاب المقدس هي فوق كل سلطة أخرى. بعد موته أدين بالهرطقة. https://ar.wikipedia.org

(٢) صورة الإسلام في القرون الوسطى، ريتشارد سوذرن، ص١٢٣.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

زمنه[١].

ويشير "سوذرن" إلى دوره في إصلاح الكنيسة، فيقول: «ولقد جرت العادة على اعتبار "ويكليف" قوة تدميرية للكنيسة في العصور الوسطى. ويبدو ذلك لنا الآن صحيحاً. لكنه فيما يتصل بالإسلام قدم رؤية شاملة تمثل نتائج قرن كامل من تاريخ أوربا الثقافي، وهو قرن أظهر فيه أوربيون معتبرون سخطهم على الحالة الفكرية السائدة في مجتمعاتهم، كما تبين لهم أن عالمهم المسيحي الغربي هو أقل تميزاً عن بقية العالم مما اعتقدوا وأملوا»[٢].

رغم موقف ويكلف المعادي للإسلام فإنه لا يخفى تفضيله لتعاليم الإسلام على الكنيسة الكاثوليكية فيقول "أن المسلمين ليسوا من الضلال وانكار الألوهية بالدرجة التي عليها رجال الكنيسة المعاصرون له"[٣].

ومن وجهة نظر "ويكليف" فإن أخطاء الكنيسة هي التي أدت بطرق غامضة بعض الشيء لصعود الإسلام، وذلك بأن امتداد الإسلام بدأ من تفاقم خيلاء الكنيسة[٤].

ومن رواد الإصلاح الكنسي والمتأثر بالنقد الإسلامي لانحرافات عقائد اليهود والنصارى المفكر السويسري "زفنجلي"[٥].

---

(١) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام، سعد رستم، ص١٢٣.

(٢) صورة الإسلام في القرون الوسطى، ريتشارد سوذرن، ص١٢٨.

(٣) مارتن لوثر والإسلام، محمد أبو حطب خالد، ص١٦٠ .

(٤) المرجع نفسه، ص١٢٦ .

(٥) زفنجلي": (١٤٨٤-١٥٣١م) سويسري من دعاة حركة الإصلاح الكنسي، ظهر في العصر نفسه الذي ظهر فيه "لوثر" ودعا إلى كثير مما دعا إليه "لوثر" في شئون الدين، وثار على ما يسمى: صكوك الغفران وغيرها من مفاسد الكنيسة "الكاثوليكية" مات قتيلاً أثناء صراع وقع بين أنصاره وأنصار الكنيسة "الكاثوليكية". وكانت دعوته منفصلة عن دعوة "لوثر" وإن التقت معها في مبادئها. ينظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص ١٨١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

فقد نادى بإصلاح الكنيسة، وكان من أوجه الإصلاحات التي نادى بها "زفنجلي" والمشابهة لما في التعاليم الإسلامية: محاربته للسلطة الكهنوتية للكنيسة، ومعارضته لعقيدة الحلول والمتمثل في العشاء السري الذي نادت به الكنيسة، واعتبر تقديس الأيقونات مساوياً لعبادة الأصنام، وتصريحه بأن الكتاب المقدس يخلو من وجود عقيدة المطهر، وقد حارب عقيدة الرهبنة، ونادى بأن يكون الزواج متاحاً للجميع بمن فيهم رجال الكنيسة(١).

ومن أبرز رواد الإصلاح الكنسي "مارتن لوثر"(٢) رائد حركة الإصلاح البروتستانتية، وقد قامت دعوة "مارتن لوثر" البروتستانتية الإصلاحية بالاحتجاج على صكوك الغفران(٣)، وطالب بالإصلاح في إدارة الكنيسة وفي العبادة، وعارض سلطة الكنيسة في تفسير الكتاب المقدس(٤).

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، علي عبدالواحد وافي، ص١٤١.

(٢) "مارتن لوثر" (١٤٨٣م-١٥٤٦م) ولد في "أيسلبان" بألمانيا من أبوين فقيرين، ولكنه تمكن من مواصلة التعليم حتى نال درجة الدكتوراه في الفلسفة في العشرينات من عمره، وبعد ذلك تحول إلى راهب يلازم الدير سنوات، ثم هجر حياة الرهبنة وبدأ يعارض السلطة البابوية والكنيسة الكاثوليكية في أمور عدة من أهمها: بيع صكوك الغفران، ونظام الرهبنة، والنظام الإقطاعي، وما يسمى بالعشاء الرباني، فقام بحركته لإصلاح الكنيسة لا لإصلاح النصرانية، إذ لم يختلف مذهبه البروتستانتي عن سائر المذاهب النصرانية في عقيدة التثليث، نتج عن حركته انشقاق طائفته البروتستانتية عن الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي في عام ١٥٤٦م. ينظر: دائرة المعارف البريطانية، ٦١١/١٨. "" قصة الحضارة، ول ديورانت، ١٣٠/٢٤، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، علي عبدالواحد وافي، ص١٤٢-١٤٣.

(٣) صكوك الغفران: من أوجه الانحراف التي دعا إليها رجال الكنيسة، وهذه الصكوك تطبع وتباع على الناس كما تباع أسهم الشركات، يغفر لمشتريه ما تقدم من الذنوب وما تأخر. وهي بعبارة أخرى إذن بارتكاب الجرائم بعد أن ضمنت الجنة للمشتري، كما يزعمون. ينظر: المسيحية، أحمد شلبي، ص٢٥٥.

(٤) ينظر: الفكر المادي الحديث، وموقف الإسلام منه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٣٢-٣٣.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

فكانت دعوة "مارتن لوثر" Luther، لمحاربة تعاليم الشيطان كما سماها، وهي تعاليم البابوية والكنيسة الكاثوليكية ومحاربة (صكوك الغفران)، ونظر إليها كوسيلة من وسائل الرق والعبودية، ونادت حركته إلى القضاء على السلطة البابوية، ونبذ الرهبنة(١).

وينقل محمد أبو حطب في كتابه عن مارتن لوثر أقوال عدد من الباحثين الغربيين أمثال: المستشرق الألماني المعاصر "هارتموت بوبتسن" وعالم اللاهوت الألماني "أدموند فيبر" وآخرين، أن انشغال مارتن لوتر بالإسلام لم يكن أمرًا فرعيًا أو جانبًيا بل كان من القضايا الجوهرية التي كابدها وعايشها وأدلى فيها بدلوه في الكثير من مؤلفاته وحواراته(٢).

وينقل محمد أبو حطب عن "هارتموت بوبتسين " قوله: "الإسلام عند لوثر كعقيدة يخاطب العقل البشري وبذلك تغلب العقلانية في الإسلام عما هو الحال في المسيحية، مقارنة بتعاليم الإنجيل التي يصعب على العقل البشري استيعابها"(٣).

ثم يقول: "اعتبرت التوجيهات في اللوثرية –من وجهة نظر أعداء لوثر– متعاطفة تجاه المذهب المحمدي وأن الكاثوليك اعتبروا لوثر أحد حماة الأتراك والمدافعين عنهم"(٤).

ولقد كان لظهور "لوثر" بالبروتستانتية في بداية القرن السادس عشر ١٥٢١م الأثر الكبير في ظهور الانشقاقات العنيفة في الكنيسة الكاثوليكية، والتي مهدت السبيل

---

(١) الرهبنة: مما ابتدعه رجال الكنيسة من اعتزال الناس في الأديرة والصوامع، وتعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب وعدم الزواج، وهذا فيما يظهر للناس، إذ تكشّفت – مع مرور الزمن– تلك الأديرة والصوامع التي يختلي بها هؤلاء الرهبان – عن كل ألوان العهر والفساد. ينظر: أحمد شلبي، المسيحية، ٢٤٤–٢٤٧. ينظر: أحمد شلبي، المسيحية، ٢٤٤–٢٤٧.

(٢) مارتن لوثر والإسلام، محمد أبوحطب خالد،ص٢٠٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٢٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٢٧.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

لظهور انشقاقات لم تنته بعد[١].

وقد عارض لوثر عقيدة الخطيئة إذ يرى فيها استلاباً للحرية الإنسانية[٢].

ويؤكد "ريتشارد سوذرن" اطلاع "مارتن لوثر" على تعاليم الإسلام فيذكر اهتمامه بترجمة كتاب عن الإسلام إلى الألمانية وقدم له مقدمة طويلة[٣].

وينقل محمد أبو حطب عن "ادموند فيبر" عالم الدين الألماني، قوله: "إن لوثر لم ينظر إلى النبي محمد كعدو خطير مثل بابا روما وإنه لا يمثل خطورة للإنجيل باعتبار أنه لا يمثل العدو الأساسي للمسيحية"[٤].

ويرى "ادموند فيبر" أن لوثر لم يهاجم محمداً أو يضمر عداوة شخصية له، فيرى أن الخلاف العقائدي بين المسيحين والمسلمين يمكن تناوله بالجدل والحوار على النقيض من استحالة مثل هذا الحوار مع أصحاب الدين اليهودي، وهذا يعني أن لوثر أقر نوعاً من القرابة اللصيقة بين المسيحية والإسلام، وهذا يقدم من وجهة نظره أساسًا لقيام حوار بين العقيدتين[٥].

ويؤكد "السيد محمد" الشاهد موقف مارتن لوثر من الإسلام مع تأثره به فيقول: «أما "مارتن لوثر" فإنه من المأثور عنه أنه كان يعرف القرآن معرفة جيدة، وله كتابات تَهجَّم فيها عليه تدل على مدى اهتمامه بالقرآن وتأثره به»[٦].

ومع عدائه للإسلام إلا أنه وجد في الإسلام مناصراً له في حركته الإصلاحية،

---

(١) ينظر: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي، ص٢٥.

(٢) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص١٣٦.

(٣) صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، ص١٥٠.

(٤) مارتن لوثر والإسلام، محمد أبوحطب خالد،ص٢٤٧.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٤٨ .

(٦) أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستانتية، ص٨٣، السيد محمد الشاهد، أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستانتية، ص٨٣.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وفي ذلك يقول "سوذرن": «كان لوثر يشعر بفرحة لإقدام الإسلام على افتراس المسيحية الغربية المعاصرة»(١).

وتبلغ قمة تعاطف لوثر تجاه الإسلام من منظور-إدموند فيبر- في نقده الشديد لأولي الأمر من رجال اللاهوت والسياسة والعلماء لقلة معرفتهم بالمسلمين ودينهم واعترض على الكثير من الأكاذيب التي كانت تلصق أو تقال عن الأتراك واعتبرها نوعاً من الدعاية لإثارة غضب الألمان عليهم دون وجه حق، وبهذا يقف لوثر من وجهه نظر فيبر إلى جانب المسلمين وغيرهم من العقائد الأخرى ضد موجه العداء الغير مبرر من جموع المسيحين نحو المسلمين وعقيدتهم(٢).

وبهذا يقف لوثر من وجهة نظر فيبر إلى جانب المسلمين وغيرهم من أهل العقائد الأخرى ضد موجة العداء الغير مبرر من جموع المسيحين نحو المسلمين وعقيدتهم(٣).

وليس معنى هذا أن مارتن لوثر يتعاطف مع الإسلام ولكن معناه أن يرى أن هؤلاء الأعداء المسلمين قد تحلوا بفضائل وصفات يستكثرها عليهم ويتمنى لو تحلى بها أبناء دينه المسيحين(٤).

وبعد "لوثر" جاء "كالفن"(٥) Calvin، وقد ذهب "كالفن" أبعد من "لوثر" في

---

(١) صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن،ص١٥١.

(٢) مارتن لوثر والإسلام، محمد أبوحطب خالد، ص٢٤٥ .

(٣) المرجع نفسه، ص٢٤٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(٥) كالفن: (١٥٠٩ -١٥٦٤م) فرنسي من دعاة الإصلاح الكنسي، قام بعد "لوثر" بالدعوة إلى البروتستانتية، البروتستانتية، ونشر مبادئها؛ وتنظيم هذا المذهب على هيئته الأخيرة يرجع إلى "كالفن" أكثر من غيره، وينكر حضور المسيح، وألف في ذلك بحوثاً ورسائل كثيرة، نشر معظمها بعد فراره إلى جنيف بسويسرا. ينظر: قصة الحضارة، ول ديورانت" ٢٠٥/٢٤، الأسفار المقدسة، علي عبدالواحد وافي، ص١٤٣، محاضرات في النصرانية، ومحمد أبو زهرة، ١٨٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

إصلاح العبادة في الكنيسة، فقد أبعد من الكنائس كل ما يتصل بالكنيسة الكاثوليكية من الأيقونات، والصلبان، والموائد، والزينات الكنسية المتنوعة(١).

ويلاحظ بأن هذه التعاليم لا تخلو من التأثير الإسلامي وقد تابع كالفن من قبله من روّاد الإصلاح الكنسي، ويبرز تركيزه على محاربة الزينات الكنسية المتنوعة داخل الكنيسة، وهذا مشابه لما جاء في التشريع الإسلامي من النهي عن تشييد المساجد أي زخرفتها وتزيينها بصورة تشغل المصلين.

ويؤكد عدد من الدارسين الغربيين للأديان الأثر الإسلامي في حركة الإصلاح البروتستانتية، حيث تعكس معظم بنود الإصلاح البروتستانتي الانتقادات الإسلامية التي وجهها الإسلام للمسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية(٢).

وعند حديث جوزيف شاخت عن عصر النزعة العقلية في أوروبا تطلع اتباع كالفن إلى التراث الإسلامي فيقول: "و انتقل الجيل التالي من الموضوعية إلى مرحلة الإعجاب فقد استشهد بيل bayle وكثيرون غيره بتسامح الإمبراطورية العثمانية إزاء جميع أنواع الأقليات الدينية وذكره كمثال للمسيحيين كان هذا حينما لجأ اتباع مذهب كالفن في هنغاريا وترنيسيلفانيا وبروتسنت سيلزيا وقدماء المؤمنين من قفقاس روسيا إلى تركيا، أو تطلعوا إلى الباب العالي في هروبهم من الاضطهاد الكاثوليكي أو الأرثوذكسي، وذلك مثلما فعل اليهود الإسبانيون قبل ذلك بقرنين، فكان ينظر الى الإسلام كدين عقلاني بعيد كل البعد عن العقائد المسيحية المخالفة للعقل"(٣).

وتشير الدكتورة الألمانية "كريستيانا باولوس" إلى التأثير الإسلامي في أوروبا على حركات الإصلاح ومنها حركة الإصلاح البروتستانتية فتقول: «بدأ العلماء

(١) الإسلام في دراسة في تاريخ الأديان، محمد خليفة حسن، ٥٨ .

(٢) الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، عبدالرازق أحمد قنديل،ص٢٣٢.

(٣) تراث الإسلام، الجزء الأول، جوزيف شاخت، ص٦٣

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الغربيون باللاهوت وبالطبع يُعد استخدام العقل أو النقاش في مجال الدين الذي أخذوه عن المسلمين هو أبرز ملامح تأثر المصلحين الدينيين في أوروبا بالإسلام. ومن ناحية أخرى كان لدخول العقل والمناقشات في أسلوب التدين المسيحي أكثر من نتيجة؛ ومن هنا نلاحظ تأثير الفلسفة الإسلامية على الإصلاح البروتستانتي "لوثر كنج" الذي أسس مذهبه على أسس جديدة من أهمها رفض سلطة الكنيسة وعملها التوسطي بين المؤمن وربه»[١].

وحول تأثير التشريع الإسلامي على الفرق المسيحية يقول شاخت: " ومن جهة أخرى فإنه بالنسبة للجانب المسيحي فليس هناك شك في أن الفرعيين الكبيرين للكنيسة المسيحية الشرقية وهما اليعاقبة والمونوفيزيه.. ولم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي"[٢].

ومن خلال العرض السابق تبين تأثر رواد الإصلاحي بالإسلام رغم عدم تعاطفهم مع التشريع الإسلامي.

(١) www.e6nmaryam.com مقال: دور الإسلام في إصلاح النصرانية

(٢) تراث الإسلام، جوزيف شاخت، ص٢٨-٢٩.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المطلب الثالث:

الأثر الإسلامي في ظهور الاحتجاج على التشريعات والأسرار الكنسية:

ويظهر الأثر الإسلامي في جوانب من الأصول الإصلاحية ومن ذلك: إبطال احتكار رجال الدين النصراني لقراءة وفهم الكتاب المقدس، وهذا لا شك بأثر من الإسلام الذي يتيح لكل مسلم قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه بل يأمرنا جل وعلا في آيات عدة بالتدبّر قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد، ٢٤]. وجعل الله فهم القرآن الكريم ميسراً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر، ١٧]. وتفسيره ميسور لكل مسلم توافرت فيه شروط التفسير.

ومن جوانب التأثير الإسلامي في تاريخ الحركة البروتستانتية ما نادت به من الحد من سلطة الكهنوت المسيطر على صلة المؤمن بربه، ونفي الوسطاء بين العبد وربه، مع اختلاف الصورة في الإسلام عنها في النصرانية في تصور حقيقة الإله، وقد جاء نفي الوسطاء جلياً في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر، ٦٠].

ومن الأصول التي جاءت الحركة البروتستانتية لنبذها ورفضها الأسرار الكنسية، ومنها رفض سر الاعتراف أمام الكاهن لأجل الغفران، ورفض سر الدهن بالزيت، والعزوبية، مع محاربتهم لتقديس التماثيل والصور والأيقونات، ويميلون في عباداتهم إلى البعد عن المراسم والأزياء والطقوس التي تلزم بها الكنيسة الكاثوليكية داخل الكنيسة، مع مناهضتهم للرهبنة والتبتل والعزوبية، وحياة الأديرة[١].

والمتأمل للأصول التي جاءت بها حركة الإصلاح البروتستانتية الإصلاحية الاحتجاجية يجدها تشابه بعض الأصول الشرعية الإسلامية، ومن تلك الأصول

(١) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام، سعد رستم، ص١٩٥-١٩٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

البروتسانتية:

- رفض وساطة رجال الكنيسة بين العبد وربه عند طلب المغفرة وإنكار عصمة الباباوات.
- اعتماد الأناجيل المصدر الأساسي للتشريع وإنكار ما صدر من تعليمات عن البابوات.
- ومنع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها.
- ورفض عقيدة الخطيئة لدى النصارى.
- ومناهضة الرهبنة بجميع صورها(١).

ومع أن الحركة الإصلاحية البروتستانتية لم تبتعد كثيراً عن الكنائس الأخرى في الاعتقاد بعقيدة التثليث إلا أن تعاليمها الأخرى يظهر فيها وبجلاء انعكاس الثقافة الإسلامية فيها.

ويؤكد "السيد محمد" الشاهد أن الأثر الإسلامي في ظهور البروتستانتية هو الأظهر من جملة أسباب ظهور هذه الحركة فيقول: «السبب الآخر والأقوى في نظري هو انتشار المعرفة بالإسلام، عقيدة وفكراً في الغرب، فقد كان الإسلام هو المحرك للعقل الأوربي بعد أن أيقظه من سبات دام طوال عصور الظلام والعصور الوسطى»(٢).

وقد شمل التأثير الإسلامي في حركات الإصلاح الكنسية مجال الأحوال الشخصية، وقد أشار عدد من المستشرقين إلى ذلك التأثير ومنهم المستشرق "جوزيف

(١) ينظر: أمين الخولي، صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، ص ٦١-٧٨.

(٢) أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستانتية، ص ٨٣، السيد محمد الشاهد،، وينظر: حضارة العرب، غوستاف لبون، ص٥٢٧.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

شاخت"[١] عند حديثه عن أثر التشريع الإسلامي في جوانب تشريعية عدة لدى بعض الطوائف المسيحية فيقول: «ومن جهة أخرى فإنه بالنسبة للجانب المسيحي فليس هناك شك في أن الفرعين الكبيرين للكنيسة المسيحية الشرقية وهما اليعاقبة والمونوفيزية (Monophysites) والنسطوريون (Nestorians) لم يترددوا في الاقتباس بحرية عن قواعد التشريع الإسلامي، وهذا الاقتباس لم يكن في قانون الأسرة الذي كان يخضع للقانون الكنسي، بل كان في كل تلك الموضوعات التي يمكن أن يتصور المرء أنها تدخل في نظر القاضي المسلم، ولاسيما قانون الميراث والقواعد المتعلقة بالأوقاف الخيرية»[٢].

وقد برز التأثير الإسلامي في ظهور حركات الاحتجاج تجاه اللاهوت الكنسي مبكراً، فيؤكد "ريتشارد سوذرن" الأثر الإسلامي في الفكر الديني الأوربي في القرن الثالث عشر إذ يقول: «وما يزال الباحثون المعاصرون يكتشفون آثاراً وأفكاراً للمؤلفين المسلمين في اللاهوت اللاتيني»[٣].

وقد امتد الأثر الإسلامي إلى التأثير اللغوي في ترجمة الكتب المقدسة وفي ذلك يقول الأب "أنطونيوس عقار إبراهيم" حول الأثر الإسلامي في ترجمة الكتب (المقدسة)

---

(١) "جوزيف شاخت" J. SCHACHT (١٩٠٢-١٩٦٩م) مستشرق ألماني، متخصص في الفقه الإسلامي، واللغات الشرقية، عمل أستاذاً للدراسات الإسلامية واللغات الشرقية في عدد من الجامعات الأوروبية والعربية، أشرف على مجلة الدراسات (الإسلامية)، واشترك في الإشراف على الطبعة الثانية لدائرة المعارف (الإسلامية) كتب فيها عدة مقالات ومن أبرز مؤلفاته: نشأة الفقه في الإسلام، وخلاصة تاريخ الفقه الإسلامي، والفقه الإسلامي، وعلم الأحوال الاجتماعية، وعدد كبير من البحوث والمقالات نشرها في عدد من الدوريات العربية والأوروبية. ينظر: المستشرقون، العقيقي،٤٦٩-٤٧١، موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٢٥٢-٢٥٥.

(٢) تراث الإسلام، جوزيف شاخت، ص٢٨ – ٢٩.

(٣) صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، ص٩٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

للنصارى قائلاً: «ولقد أثر أسلوب القرآن على كثير من المفكرين المسيحيين والذين حاولوا أن يقدموا الكتب المقدسة بصيغة أدبية تناسبها. وأكثر من اعتنى بهذا اللون من الأدب نصارى العرب من المشارقة، الذين ترجموا الأناجيل سجعاً منذ القرن التاسع، واشتدت هذه النزعة بعد انتشار البديع في الأدب العربي»(١).

ويشير "ريتشارد سوذرن" إلى الأثر الإسلامي في مجالات الفكر والسلوك الأوربي في القرن الثالث عشر فيقول: «إن النظرة المتفحصة للاهوت المسيحي في القرن الثالث عشر ممتعة ومفيدة، وبخاصة في مجال الإدراك المتغير من جانب ذلك اللاهوت لطبيعة المشكلات وفي مجال اللغة والمصطلح الفلسفيين الإسلاميين، ومما لا شك فيه أن هذا التلاقح اللاهوتي ما كان منعزلاً عن سائر مجالات الفكر والسلوك»(٢).

وأكد عدد من المستشرقين على أثر منهج ابن حزم النقدي في حركات الإصلاح اليهودية والنصرانية(٣).

ومن الأدباء المتأثرين بالثقافة الإسلامية الشاعر والأديب الألماني "جون فون غوته" (١٧٤٩ – ١٨٣٢) والذي ظهر التأثير الإسلامي جلياً في أدبه، وقد أشار إلى جوانب التأثير الإسلامي في الفكر الغربي بقوله: «إن الغرب أخذ عن الإسلام الأمثال الأخلاقية والمعنوية والنسكية اللاهوتية والصوفية»(٤).

وقد برز في تاريخ الكنيسة عدد من الشخصيات الذين دعوا إلى تطهير الكنيسة من الآثار الوثنية في عقائدها متأثرين بالثقافة الإسلامية وكان من أوائلهم الإمبراطور "ليو الثالث" يقول عنه "أندروملر": «كان الإمبراطور ليو الثالث – القرن السابع

(١) www.coptcatholic.net مقال: تأثير الإسلام على الأدب الديني المسيحي

(٢) صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، ص٩٨.

(٣) جوزيف شاخت، تراث الإسلام، ص ٨٨-١٠٢.

(٤) الاستشراق والإسلام دراسة في أدب غوته، وليد كاصد الزيدي، ص١٠٨.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الميلادي- يمتلك الشجاعة الكافية فأخذ على عاتقه تطهير الكنيسة من أصنامها الممقوتة متحملاً المشقات الكثيرة في سبيل هذا، ويصمت التاريخ عن ذكر البواعث التي حَرَّكت الإمبراطور "ليو" لهذا العمل، ولكننا نعتقد أن ظهور الإسلام ونجاحه واعتقاده بالتوحيد قد أثر على الإمبراطور تأثيراً كبيراً، فضلاً عن ذلك كان الاعتقاد سائداً عند المسيحيين في الشرق أن غزوات الإسلام كانت تأديباً من الله على ازدياد الوثنية داخل الكنيسة، وكان المسيحيون كثيراً ما يسمعون تعبيراً من المسلمين واليهود بأنهم يعبدون الأصنام، ونتيجة لهذه الظروف قامت المنازعة العظيمة»[١].

ويشير المستشرق الإسباني "أميركو كاستروا" إلى أن عادة تغسيل الموتى قد أخذت عن المسلمين، وعادة تغطية وجوه النساء كانت تمارس حتى وقت قريب في بعض مناطق «المرية» و«قادس»[٢].

وكان التأثير الإسلامي جلياً في عودة ظهور فرق الموحدين مرة أخرى، والأثر الإسلامي في ظهور حركات الموحدين النصارى بعد ظهور الإسلام وخصوصاً لدى حركة تحريم الصور والتماثيل والحركة الإصلاحية والطائفة الملكية.

ولقد بدأت حركة تحطيم الصور بظهور الإسلام، وقد بلغت هذه الحركة أوجها في عهد الإمبراطور البيزنطي "قسطنطين الخامس" الذي عقد مجمعاً خاصاً لذلك في القسطنطينية سنة ٧٥٤م، وقد كانت الإمبراطورية الشرقية البيزنطية هي الأكثر تأثراً، وذلك لقربها إلى دار الإسلام[٣].

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندروميلر، ص٢١٢.

(٢) www.Kenanaonline.com مقال: الموحدون من النصارى.

(٣) المرجع نفسه.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وقد احتدم الخلاف بين الفرق المسيحية في القرن الثامن الميلادي حول تقديس التماثيل والصور أو ما يعرف بالأيقونات ربما بأثر من الأفكار الإسلامية التوحيدية المجاورة(١) والمشتهرة بالمحافظة على قضايا التوحيد والمحرمة لعبادة التماثيل والصور واعتبار ذلك نوعاً من أنواع الشرك المنافي للتوحيد.

ونتيجة للحركات الإصلاحية للكنيسة ظهرت بعض الطوائف والحركات التي تناهض التثليث وتدعو إلى التوحيد، منها الحركة "السوسيانية" والمسماة بفرقة التوحيديين في منتصف القرن السادس عشر الميلادي التي أنكرت عقيدة التثليث ونادت بوحدانية الآب في ذاته ونفي إلهية المسيح(٢).

ومما يؤكد افتراضنا تأثر هذه الحركات الإصلاحية بالتعاليم الإسلامية أن أبرز مؤسسي هذه الحركة اللاهوتي الإيطالي "ليليو سوزيني ١٥٢٦– ١٥٦٢ " كان قد تعلم اللغة العربية بجانب اليونانية والعبرية(٣)، ولا شك بأن تعلمه للعربية قاده للاطلاع على أصول العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد وإبطال عقيدة التثليث.

وقد لاقى أتباع الجماعة "السوسيانية" التوحيدية أصناف العذاب والاضطهاد من الكنيسة الكاثوليكية، وهاجر أتباعها من "بولندا" إلى "هولندا" وتوزع آخرون أطراف أوربا، ومنهم من هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانوا وراء نشوء الفرق الشهيرة التي تسمت باسم التوحيديين(٤).

(١) ينظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص٣٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٩.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧٠.

(٤) المرجع نفسه، ص١٧٤.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ومن الطوائف المسيحية التي انشقت عن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية وبدا تأثير الإسلام فيها جلياً، طائفة "البوغميل" في البوسنة والهرسك، فقد عارضوا عبادة السيدة مريم، وأبطلوا نظام التعميد، واعتبروا الانحناء أمام الصور الدينية والتماثيل ضرباً من عبادة الأصنام، ومنعوا الزخرفة والزينة في الكنائس، وحرَّموا على أنفسهم شرب الخمر، ويظهر الأثر الإسلامي فيها جلياً باعتقادهم أن المسيح عيسى عليه السلام لم يصلب ولكن حل محله شخص آخر، وهذا يوافق عقيدة المسلمين في إنكار صلب المسيح –عليه السلام– قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء، ١٥٧ – ١٥٨].

وفي الوقت المعاصر ظهرت عدة فرق وطوائف نصرانية تدعو إلى التوحيد وإن لم تصل إلى حقيقة التوحيد كما جاء في أصل الإسلام إلا أنه يظهر فيها التأثر بالعقيدة الإسلامية، ومن تلك الفرق النصرانية المعاصرة فرقة: الموحدين أو التوحيديين The Unitarians، وفرقة شهود يهوه Witnesse's dehouah وفرقة الروحيين The spiriaitualist، وفرقة العلم المسيحي the Christian science. وهذه الفرق ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية وتتفق على إنكار إلهية المسيح وإنكار التثليث.

وظهر تأثر"طائفة المورمون" النصرانية بالتشريع الإسلامي في إباحة تعدد الزوجات وفي بعض الأخلاقيات التي ينادون بها.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المطلب الرابع:

الأثر الإسلامي في منهج النقد الإصلاحي للكتب (المقدسة)

لقد استفادت مدرسة نقد الكتاب المقدس الغربية في تجليتها لما حدث في التوراة والإنجيل من تحريف وتبديل، استفادت من البيان والنقد القرآني والذي ورد في كتاب الله بتفصيل دقيق جاء باسم الإخفاء والكتمان وإلباس الحق بالباطل والتعطيل والإهمال والنسيان والكذب والتكذيب والتأليف، يخبر الله تعالى عن تحريفهم فيقول جل وعلا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

يقول القرطبي {قوله تعالى: "ثم يحرفونه" قال مجاهد والسدي: هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالا والحلال حراما اتباعا لأهوائهم." من بعد ما عقلوه" أي عرفوه وعلموه. وهذا توبيخ لهم، أي إن هؤلاء اليهود قد سلفت لآبائهم أفاعيل سوء وعناد، فهؤلاء على ذلك السنن، فكيف تطمعون في إيمانهم}(١).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقال عز وجل عن التلبيس: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

وقد جاءت تلك الإشارات النقدية في مؤلفات رواد المدرسة الغربية الحديثة لنقد الكتاب المقدس مستقاة من كتاب الله تعالى.

ويقول: الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن إن بعض الفرق الدينية التي ظهرت كفرق إصلاحية داخل الأديان الكبرى لا تخلو من تأثير إسلامي وهي في كثير من

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

تصوراتها نتيجة من نتائج الاتصال بين الإسلام والديان الأخرى الكبرى والأخذ مباشرة أو بطريق غير مباشرة بالنقد الإسلامي لهذه الأديان(١).

وفي هذا الخصوص يبدو التأثير الإسلامي الغير معترف به في المذهب المسيحي البروتستانتي كما يذكر "وولف" حيث تعكس معظم بنود الإصلاح البروتستانتي رؤية إسلامية واعتراضات وجهها الإسلام للمسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية(٢).

ويرى أن تأثر الحركات الإصلاحية في اليهودية والنصرانية بالإسلام واستجابتها للنقد الإسلامي لما حدث في كتب القوم من تحريف إنما هو صورة من صور الهيمنة القرآنية على كتب اليهود والنصارى(٣).

تلك الهيمنة الواردة في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. يقول الطبري في معنى الآية: ("ومهيمنًا عليه"، يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها)(٤).

ويرى المستشرق الألماني جورج يعقوب بتأثير الشرق على الغرب في العصور الوسطى في ميادين عديدة(٥). وقد دارت معاني الهيمنة عند المفسرين حول التصديق والرقابة، والشهادة، والحفظ، والائتمان.

---

(١) الإسلام: دراسة في تاريخ الأديان، محمد خليفة حسن، ص ٥٧-٥٨

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٨

(٣) المرجع نفسه، ص٧٢

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ٣٧٧/١٠.

(٥) أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، جورج يعقوب، ص١٥-١٦ .

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وقد اتبع رواد المدرسة النقدية في كثير من نقدهم الكشف القرآن الجلي لما حدث في تلك الكتب من تحريف وتبديل، وقد جاء معنى الرقابة من معاني الهيمنة كما ورد في كتب التفسير، ومعناها أن يكون القرآن الكريم رقيباً على الكتب الأخرى يحدد الصحيح فيها من غير الصحيح، فهو المعيار النقدي للتعرف على بقايا الوحي في الكتب السابقة وتحديد ما لا ينتسب إلى الوحي فيها.

ومع أن حركة نقد الكتاب المقدس لم تظهر كمدرسة لها أصولها الجلية إلا في أوائل القرن العشرين إلا أن إرهاصاتها بدأت من اتصال علماء اليهود والنصارى بالمسلمين في الأندلس، ويعتبر "إبراهيم بن عزرا" [١]. اليهودي أول من أدرك من الباحثين اليهود وبصورة عملية مشاكل النقد الأدبي للتوراة في تفسيره لها ولعل وجود "ابن عزرا" المولود في طليطلة عام ١٠٩٣م في فترة ازدهار الثقافة الإسلامية في الأندلس مكنه من الاستفادة من تلك الحركة العلمية الإسلامية في نقد الكتب المقدسة في نقده ودراسته[٢].

(١) إبراهيم ابن عزرا برع ابن عزرا بالفلسفة وعلم الفلك والتنجيم والطب والشعر وعلم اللغات والتفسير، ولذلك لقب بالحكيم وبالكبير وبالطبيب الماهر. وحقق مسبقاً شهرة كبيرة في بلاده بوصفه شاعراً ومفكراً مميزاً. قدم ابن عزرا خدمة جليلة وعظيمة لليهود الساكنين في أوروبا المسيحية، حيث جمع في تلك المؤلفات كنوز المعرفة التي استقاها من الكتب العربية التي جلبها معه من الأندلس جميعاً. من أعماله شروحه لمعظم أجزاء كتاب التوراة في شروحاته وتفسيراته في مجال الكتب المقدسة التزم ابن عزرا بالتمسك بالمعنى الحرفي للنص. من أهم كتبه: كتاب أسرار الشريعة، لغز الحروف الساكنة، كتاب الاسم، كتاب ميزان اللغة المقدسة، وكتاب نقاء اللغة، وغيرها من المؤلفات التي دونها خلال حياة الترحال التي عاشها. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

(٢) الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، عبدالرزاق أحمد قنديل، ص٢٣٤.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وقد فتح اتصال "إبراهيم بن عزرا" بالفكر الإسلامي في الأندلس الباب للنقد العلمي الغربي لنص الكتاب المقدس، الأمر الذي جعل الناقد الغربي "باروخ سبينوزا"(١). والذي ينسب إليه ريادة حركة نقد الكتب المقدسة يشكك في نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام(٢).

ويظهر أثر الثقافة الإسلامية في منهج "ابن عزرا" النقدي من خلال اهتمامه بترجمة العديد من مؤلفات التراث الإسلامي إلى اللغة العبرية، وقد حظي بمكانة مرموقة لدى اليهود، ويعتبر تفسيره من أبرز تفاسير المدرسة اليهودية في الأندلس، وتظهر شهرته كذلك في دراسته النقدية لأسفار التوراة(٣).

وقد ظهر في دراسته النقدية استفادته من منهج المسلمين النقدي لأسفار التوراة إذ عاصر مناظرات ابن حزم الأندلسي "وابن النغريلة" اليهودي حول القرآن الكريم والتوراة، والتي أبان فيها ابن حزم تناقضات أسفار التوراة في رسالته في الرد على "ابن النغريلة"(٤).

---

(١) فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن ١٧ولد عام ١٦٣٢م في أمستردام، هولندا، لعائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين. فقد كان والداه يهوديين هاجرا من البرتغال. اضطر كثير من يهود شبه جزيرة أيبريا (إسبانيا والبرتغال) إلى الهجرة لكثير من دول غرب أوروبا هروبًا من اضطهاد السلطات هناك. وفي البداية اضطروا إلى اعتناق المسيحية، أما بعد أن وجدوا مناخًا متسامحًا في هولندا فقد عادوا مرة أخرى إلى اليهودية. كان والده تاجرا ناجحًا في أمستردام، ولكنه متزمت للدين اليهودي وبالإضافة إلى تجارته تولى كثيرًا من المناصب الدينية في المجتمع اليهودي هناك، بل وعددًا من المهام التدريسية المنصبة على تعاليم التلمود. .

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص٢٣٧.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٢٣٩.

(٤) الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، عبدالرازق قنديل، ص٢٤٠.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ويؤكد د. محمد عمران تأثير منهج ابن حزم الأندلسي في ظهور المدرسة النقدية الغربية للكتب المقدسة(١).

ويبرز التأثير الإسلامي في ظهور مدرسة نقد الكتاب المقدس واضحاً من خلال اطلاع رواد هذا المنهج على الدراسات القرآنية والإسلامية النقدية لما حدث من تحريف في كتب اليهود والنصارى، وقد استفاد عدد من المستشرقين من دراستهم للإسلام في دراستهم النقدية للتوراة والإنجيل، ويأتي المستشرق الألماني "يوليوس فلهاوزن"(٢) على رأس هذه المدرسة والذي انطلق في تأصيل هذه الحركة النقدية من خلال تخصصه في الدراسات العربية والإسلامية، وفي هذا السياق يقول الدكتور "محمد خليفة حسن": «ولا نريد أن ندخل في إحصاء لهؤلاء المستشرقين ولكن يجب أن نكتفي بذكر أن مؤسس حركة النقد الحديثة وواضع أسسها ومكتشف ومطور نظرية مصادر التوراة "يوليوس فلهاوزن" هو أحد كبار المستشرقين المتخصصين في الدراسات العربية القديمة والدراسات الإسلامية، و"فلهاوزن" هو الذي وجه حركة نقد الكتاب المقدس، وتركت نظرياته وأفكاره أثرها الدائم والعميق في كل ما أنتجته هذه الحركة من فكر حتى وقتنا الحالي»(٣).

(١) ينظر: مقال بعنوان: غمط حقوق العلماء المسلمين من طريف الأوربيين، د. محمد عمران.

(٢) "يوليوس فلها وزن"(١٨٤٤-١٩١٨م)، مستشرق ألماني، انصب اهتمامه على الأسفار (المقدسة)، ويُنسب إليه ريادة مدرسة نقد الكتاب (المقدس)، ساهم في تحقيق بعض الكتب حول تاريخ الإسلام، ومن أبرز مؤلفاته: البقايا الوثنية، الدولة العربية واضمحلالها، وفرق المعارضة الدينية السياسية في الإسلام. ينظر: تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فك، ٢٤٠-٢٤٢.

(٣) علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة، محمد خليفة حسن، ص٤٥-٤٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ومع ما تدين به هذه المدرسة الغربية الإصلاحية في نقد الكتب (المقدسة) من فضل للقرآن الكريم في إرشاده لما وقع من تحريفات كتب اليهود والنصارى إلا أن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لم تسلم من انتقاد معظم رواد تلك المدرسة، ومع ذلك يبقى الأثر الإسلامي واضحاً وجلياً في مسيرة رواد هذه الحركة الإصلاحية التي حملت لواء بيان ما وقع من تزوير وتحريف في كتب اليهود والنصارى والذي جاء بيانه مجملاً في هذا المبحث.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الخاتمة

تظهر أبرز نتائج الدراسة في الآتي:

– لقد تبين من تتبع أقوال طائفة من المستشرقين اعترافهم بفضل الإسلام وأثره في ظهور حركات الإصلاح في اليهودية والنصرانية وفي مسيرة رواد الإصلاح والتصحيح في الفكر الغربي بصفة عامة، مع أن الغالب في كتابات المستشرقين التحامل على الإسلام بالطعن والتشكيك.

– وظهر كذلك الأثر الإسلامي في ظهور عدد من دعاة الإصلاح النصارى مع إنكار بعضهم فضل الإسلام في هدايته إلى هذا الخير، بل مع تهجم بعضهم على الإسلام وعدائه له كـ"مارتن لوثر".

– تأكد تأثر عدد من رواد الإصلاح في تاريخ النصرانية بالإسلام .

– ظهر تأثر عدد من التشريعات والأسرار الكنسية النصرانية التي تم الاحتجاج عليها.

– تأكد الأثر الإسلامي في منهج النقد الإصلاحي للكتب المقدسة.

– ظهر جلياً من خلال هذا البحث فضل الإسلام في ظهور الدراسات النقدية المبينة لما حدث من تحريف وتزوير في كتب اليهود والنصارى وأسبقية الإسلام في هذا الميدان.

– ومما يحسن الإشارة إليه ما تتميز به دراسة مقارنة الأديان من بيان فضل الإسلام على غيره من الأديان؛ وهذا المجال من أنفع الميادين الدراسية في بيان وتجلية محاسن الإسلام، والدفاع عنه، وحري بطلاب العلم والمتخصصين في هذا الميدان أن يولوا هذا المجال جل اهتمامهم وعنايتهم.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

المصادر والمراجع

١- أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ميجيل آسين، ترجمة: جلال الدين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٠م.

٢- أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستانتية، السيد محمد الشاهد، مجلة البيان، العدد٢٢، أكتوبر ١٩٨٩م/ ربيع الأول ١٤١٠هـ.

٣- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، عبدالرزاق أحمد قنديل، دار التراث، بالقاهرة، ط ١٩٨٤م.

٤- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٨٣م.

٥- الاستشراق والدراسات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن صلاح مطبقاني، دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٦- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.

٧- الإسلام في دراسة تاريخ الأديان، محمد خليفة حسن، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ٥٦، عدد(٢)، إبريل ١٩٦٦م.

٨- الإسلام والثقافة العربية في أوروبا، عبدالفتاح الغنيمي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩م.

٩- تاريخ العرب العام، سديو، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٢، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١٠-تاريخ العرب، فيليب حتي، دار الكشاف، بيروت، ط٤.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

١١- تراث الإسلام، جوزيف شاخت، القسم الثالث، ترجمة حسين مؤنس، إحسان صدقي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٣- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ.

١٤- الحركة البروتستانتية وأثرها على النصرانية ومدى تأثرها بالإسلام، وجيه محمد زكريا عمران، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، قسم الدعوة، جامعة الأزهر، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٥- الحضارة الإسلامية، جوزيف بولو، نقله إلى العربية: ريمة الفوال، دار الكتب العربي، دمشق ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٦- الحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال، ترجمة: د. الطاهر أحمد مكي، دار العالم العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٧- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، ترجمة: د. مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

١٨- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشل جحا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٩- صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٠- صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، ترجمة وتقديم: رضوان سيد، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

٢١- الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، ١٩٩١م.

٢٢- علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة، محمد خليفة حسن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

٢٣- غمط حقوق العلماء المسلمين من طريق الأوربيين، محمد عمران، www.alhiwar.

٢٤- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م

٢٥- فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتقمري وات، ترجمة: حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦- فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، زكريا هاشم، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢٧- الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، محمود عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٢٨- قصة الحضارة، ول ديورانت، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ط٢، ١٩٦٧م.

٢٩- المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٨م.

٣٠- مارتن لوثر والإسلام، محمد أبوحطب خالد، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٨م.

٣١- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٦٦م.

٣٢- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

٣٣- المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية والتشريع الإسلامي، السيد عبدالله علي حسين، دار السلام، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠١م.

٣٤- المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٨م.

35- wolf.Luther And Mohammedanism.the Moslem world .vol xxxl.1941

36- Oxford Dictionary of the Christian church,p.859.